الآثار السلبية للقنوات الوافده

أ. إيناس عبد الله خليل
كلية الآداب – جامعة الفاتح

المقـــدمـــة

يساهم الإعلام في تنمية أنماط تفكير وعلاقاته ومن ثم بنى اجتماعية جديدة باستمرار، من خلال تنمية طموحات وقدرات الأفراد والجماعات، إضافة إلى تعليم المهارات الجديدة.

أي أن الإعلام يمثل أحد الديناميات التي تدفع باتجاه إحداث التغير، لذا فهو يمثل نسقاً جزئياً داخل نسق أعم هو المجتمع الذي يوجد فيه والمضامين التي ينقلها الإعلام تؤثر بطريقة أو بأخرى "سلباً وإيجابا" في الأنساق الاجتماعية مما قد يترك أثراً، ووسائله المتعددة تقدم جوانب ايجابية فعالة في إحداث التغيرات الثقافية والاجتماعية والمعرفية.

خاصة إذا كانت المضامين المذكورة تحتوي على أراء وأفكار ومعلومات تختلف مع تلك التي تنشر أو تلك التي يتعامل بها المجتمع ذاته.

ومع أن الإعلام لا يمثل النسق الاجتماعي الوحيد بالنسبة للمجتمع فهناك السياسة، الاقتصاد، والأيديولوجيا والقيم وغيرها من الأنساق الأخرى، إلا أن الإعلام يمكنه أن يلعب دوراً أكثر فاعلية من الأنساق الاجتماعية ذات العلاقة بعمليات التغير، خاصة أن الأنساق المعينة ذاتها تعتمد على تبادل الآراء والمعلومات والبيانات التي تعكس مستوى الفعالية الاجتماعية.

بمعنى أدق أن الإعلام وعملياته يلعب دوراً مركزياً في إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية وأنماط السلوك والبنية المعرفية للأفراد والجماعات ولأكثر من ذلك أنه أصبح أكثر العوامل "الأدوات" الضاغطة على

المجتمعات لدفعها باتجاه ما يحقق قولبة الإنسان فرداً أو جماعة حسب النموذج الاجتماعي المستهدف، ويبرز هذا النموذج أكثر فأكثر في الوسائل التي توجهها معظم شبكات الإعلام الوافدة التي تعمد إلى زرع مفاهيم النزعة الفردية وتغيّب الوجود الاجتماعي ونشر التباين والتركيز على أهمية وضرورة التعددية.....

وإن الملاحظ على تطور الإعلام لم يقتصر على تطور قوة البث وقوة الاستقبال فقط، إنما أدت إلى ترك آثار واسعة على البنية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية

وإن قضية الإعلام اليوم تحولت إلى قضية هيمنة وتبعية فالثقافة التي خلقها الإعلام على حد تعبير ماركوز ثقافة إنسان الحاجات الضرورية والكاذبة.

لذا فإن استخدام الأقمار الصناعية في المجال الإعلامي وبث القنوات الفضائية أحدثت تغيرات جوهرية في دور الإعلام، فجعلت منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع فهو اليوم محوراً لثقافة الكبار ورافداً مهماً لتنشئة الصغار.

حيث تستهدف القنوات الوافدة مستقبلي مادتها في البيوت أينما توجد القاعدة العريضية من جمهور المشاهدين الذين يستهلكون ويمتصون ما يعرض عليهم من الإنتاج الثقافي الذي انطوى مضمونه على تحريض دائم لإغراء الناس بالغوغائية والكسل والاستسلام لسلوكيات السوق وتكوين رأي عام تتلاعب به الدعاية والإعلان وهدم كل فكر ناقد من خلال استطلاعات الرأي العام المغلوطة ومسابقات التلفاز وانفجار الإباحية والملهاة المعلوماتية، فلقد تم محاصرتنا بالصوت والصورة والحركة.

ويهدف هذا البحث إلى:-

1- دراسة هذه الظاهرة الإعلامية المتداخلة في بنية الحياة المعاصرة، الأمر الذي يجعلنا نفكر جدياً في المطالبة في تغيير المحتوى الأساسي في وسائل الإعلام " الإعلام الفضائي " يحكم بشموليته واتساعه لكونه مرتبطاً بمدى التغيير السلبي والايجابي في البيئة الاجتماعية ككل.

2- التنبيه حول مفهوم الانفجار المعرفي " الثقافي " السالب الأمر الذي يستلزم طرح برامج التوجيه والتخطيط الإعلامي في مواجهة الغزو الثقافي والإعلامي ذي النزعة الاستهلاكية بفضل التقدم التكنولوجي الهائل.

3- توعية الأفراد بالآثار السلبية التي تحدثها القنوات الفضائية والتركيز على تعرية الثقافية المستوردة.

4- التعرف على الأبعاد الاجتماعية السلبية لتقنيات الاتصال حيث تمثل الأقمار الصناعية أكثر الوسائل استخداماً للاتصالات المباشرة.

مفهـــــــوم الثقافـــــــة :-

كلمة ثقافة هي الترجمة **للكلمة الأجنبية Culture** التي يوجد لها أصل في معاجم اللغة العربية فهي تعني "ثقف" كرم وفرح، وثقف ثقفاً وثقافة أي صار حاذقاً فطناً، أما المعنى الاصطلاحي الذي يستعمل في العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية.

((الثقافة هي وحدة متكاملة من المعلومات والأفكار والمعتقدات وطرق التفكير والتعبير والترويج وطرق كسب الرزق وتربية الأطفال والصنائع اليدوية وغيرها من الظواهر السائدة بين أفراد المجتمع والتي تنتقل من جيل إلى جيل ويكتسبها الفرد من خلال الاتصال والتفاعل)) [1].

وقد اختلفت حولها الآراء والتعريفات فعرفها البعض أنها: السلوك المكتسب ((والبعض الآخر بأنها تجريدات مأخوذة من السلوك))[2]، ويرى البعض أن مكانها هو عقول لأفراد موضوع الدراسة بينما يعرفها "تايلور" تعريفاً واضحاً ومحدداً في الآتي: ((هي ذلك الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات أو الإمكانيات التي اكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع))[3].

إذاً فالثقافة تتألف من أنماط ظاهرة ومضمرة للرمز التي تعبر عن الإنجازات المميزة للجماعات الإنسانية بما في ذلك تجسيد تلك الرموز في أشياء مصنوعة....

---

[1] محمود السيد، علم النفس الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية - 1985ف - ص 34.
[2] عاطف وصفي، علم النفس الاجتماعي، بيروت: دار النهضة العربية - 1981ف - ص 80.
[3] محمد عاطف، دراسات في علم الاجتماع - بيروت: دار النهضة العربية - 1985ف - ص 18.

لذا فالثقافة كمفهوم يمكن أن يحقق التكامل ويدور مقومات التكامل حول المعتقدات والأهداف والقيم والعادات والتقاليد وهنا يعني التكامل التوافق المتبادل بين عناصر الثقافة "المادية وغير المادية".

والذي يهمنا هنا في هذا البحث التركيز على مفهوم الثقافة في صور تفكك وصراع، فكلما زادت معدلات التباين والتنوع الثقافي وتطور الاتصال والتكنولوجيا والاعتماد على ثقافات أخرى مغايره من خلالها تتحدد وجوه النشاطات المختلفة وقوالب السلوك الإنسانية والتي من شأنها أن تؤدي لاحتمالات تفكك الشخصية وظهور الاغتراب وكثرة الأمراض النفسية وإضعاف العلاقات الاجتماعية والشخصية والسلوك المنحرف وفقدان المعايير، مما يؤدي إلى ضعف التكامل بين المجتمع وأعضائه.

فبالتالي نصل إلى تعريف إجرائي لمفهوم الثقافة بصفة عامة "باعتبارها أسلوب الحياة الذي يميز مجتمعاً ما عن غيره من المجتمعات"، من خلال التركيز على أنماط السلوك المكتسب ــ علاقة الإنسان بالمادة ــ علاقته بغيره من البشر أو حتى علاقته بالرموز والأشياء وعليه فإن عوامل ومكونات ومصادر الثقافة تتنوع ما بين البعد المادي والبعد الاجتماعي والبعد الفكري والرمزي (وسائل الاتصال).

فالثقافة هي ظاهرة اجتماعية لها مكان في العقول والنفوس ولها أثارها في البيئة المحيطة (الاجتماعية ــ المادية) من خلال عمليات التفاعل والاحتكاك وعمليات التلقي عبر الوسائل المختلفة ((فالفرد يتواجد مع عناصر ثقافة مجتمعه وبمرور السنوات تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصيته ومظهراً يعبر عنه بسلوكه دون مستوى الإحساس الواعي))[1].

يتضح من العرض السابق لمفهوم الثقافة أنها تتميز بالخصائص التالية:-

1. إن الإنسان ينفرد عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع ثقافة مستوحاة من الواقع الاجتماعي والبيئة المحيطة.

[1]. عز الدين فودة، المجتمع العربي، مصر، 1966، ص 11.

2. إن لكل مجتمع ثقافة معبرة وإن هذه الثقافة قابلة للتعلم والتنقل.

3. يوجد تشابه بين عناصر ومركبات الثقافة التي تجمع المجتمعات،ذلك يرجع لأسباب أهمها قوة الاتصال ووسائل الإعلام وإن هذا التشابه لن يصل إلى مستوى التماثل والتطابق وهذا يرجع إلى تباين المراحل التاريخية والاجتماعية التي مرت بها المجتمعات فالعناصر والمركبات الثقافية تختلف داخل المجتمع الواحد وهذا يرجع أيضاً لعوامل تاريخية واجتماعية ساهمت الدول الاستعمارية في تجزئة أقطار الوطن العربي، وليست المشكلة في الثقافات الفرعية إنما في أنماط الثقافات الوافدة عبر الأقمار الصناعية وثورة المعلومات المتمثلة في صراع حول القيم والتفاعلات حولها.

4. إن تطور وسائل الإعلام المتمثلة في الأقمار الصناعية وشبكات المعلومات والحواسيب والإنترنت والويب ونظام وسائل الإعلام الشاملة سوف يساعد على خلق وإنتاج محيط بيئي اتصالي ذي أبعاد اجتماعية وثقافية جديدة ومغايرة يمكن أن تساهم في التأثير على المستوى الفردي والجمعي وعلى المستوى التنظيمي وعلى طبيعة الأفعال والعلاقات والأنماط السلوكية والاجتماعية وعلى القيم والعادات والمفاهيم.

فظواهر الاتصالات والظواهر الإعلامية منذ مراحل تطورها لم تنفصل عن الظواهر الاجتماعية، بل بقيت ملازمة لها ولشروطها الموضوعية والمكانية والزمانية.

مصـــادر الثقافـــــة:

يمكننا أن نحدد مصادر الثقافة من خلال التفاعل الاجتماعي والتأثيرات المتبادلة التي يمارسها الناس كل على الآخر من خلال الأفعال الاجتماعية والعادات الشعبية والعرف والنظم الاجتماعية حيث تتكون الثقافة من المخترعات أو السمات الثقافية المتكاملة في نسق على درجات متفاوتة من الارتباط بين الأجزاء، وهناك تصنيف مفيد لهذا الإجراء فيما يسميه "أجبرن وينمكون" الثقافة المادية والثقافة غير المادية وكل منهما ينتظمان حول إشباع الحاجات الرئيسية الأمر الذي يعطي الإنسان نظمه الاجتماعية التي هي جوهر الثقافة.

إضافة إلى ذلك فإن ثقافة الشعوب والمجتمعات يمكن أن تتكون من خلال احتوائها على قدر كبير من المعرفة والتي تتصل بالعلم الفيزيائي والاجتماعي بغض النظر عن طبيعة المعرفة المتضمنة في هذا العلم ومثل هذه المعرفة تعلم يتم تعليمها بعناية لكل جيل، وكذلك من خلال العرف الذي يعني الطرق العامة المشتركة والتي تعطى وثوقاً للفرد في تحديد الصواب والخطأ ومع التطور المعاصر تنوعت مصادر الثقافة وانقسمت إلى ثقافات فرعية ومن هذه التفرعات نذكر البيئة كمصدر من مصادر الثقافة الذي يعرف "بالانتشار" والذي يعني استعارة ثقافة أو فرض ثقافة على مجتمع معين من خلال وسائل الإعلام المتمثلة في المحطات الفضائية الوافدة، إن الثقافة إذاً تتكون من السلوك الاجتماعي الموحد والمنتجات الرمزية أو المادية لمثل هذا السلوك وهذه الميكانزمات ومنتجاتها تتكامل في نسق يفرض على الإنسان الصور المتوقعة للتصرف، فالثقافة تتعلم ويكتسبها الفرد كعضو في جماعة في المجتمع ثم تتأصل وتنمو من خلال عمليات التفاعل الإنساني، وفي ظل هذه الثورة المعلوماتية والأقمار الصناعية تتنوع الثقافة وتتفرع من مصادر عدة وبالتالي لا يكون هناك اتفاق عام حول المعتقدات والقيم فتتغير أنماط السلوك وفقاً لذلك التنوع مما يؤدي بالتالي إلى وجود اختلال بين الثقافات في شكل أنماط سلوكية مغايرة عن ثقافة المجتمع الأصلية.

وعندما تتغير الثقافة يتغير المجتمع وتتمثل بعض نواحي الثقافة منها إلى التغير في أكثر من نواحي أو ما يعرف بالتخلف الثقافي فقد تتغير التكنولوجيا مثلاً ولا يصاحبها تغير في النظم الاجتماعية المصاحبة لذلك وقد يكون انتشار العناصر الثقافية يتجه لاتصال عرضي غير مخطط بين ثقافتين وقد يرجع ذلك إلى سهولة التأثير من قبل وسائل الإعلام، وبالتالي ينتشر شكل العنصر الثقافي أسهل من انتشار معناه أو وظيفته.

مكونات الثقافـــــة:-

لكي نتعرف على هذه المكونات لا بد لنا من التعرف على الثقافة كظاهرة وفقاً لتصنيف معلوماتي يتمثل في التالي[1]:-

1. الثقافة كنسق اجتماعي ← قوامه القيم والمعتقدات والمعارف والفنون والعادات والممارسات الاجتماعية والأنماط المعيشية.
2. الثقافة كأيديولوجيا ← تعرف بصفتها المنظار الذي يرى الفرد من خلاله ذاته ومجتمعه وبصفتها معيار الحكم على الأمور.
3. الثقافة بوصفها انتماء ← تعبر عن التراث والهوية والحمية القومية وطابع الحياة اليومية للجماعة الثقافية.
4. الثقافة بوصفها تواصلاً ← من خلال نقل أنماط العلاقات والمعاني والخبرات بين الأجيال.
5. الثقافة بصفتها دافعاً ← على الابتكار والإبداع والنضال ضد القهر.
6. الثقافة بوصفها حصاداً متجدداً ← يتم استهلاكه وإعادة إنتاجه والتفاعل معه وإدماجه في مسار الحياة اليومية.

وبالتالي فإنه يمكننا أن نحدد مكونات الثقافة في الآتي[2]:-

أ. السمات الثقافية فهناك سمات ثقافية مادية وأخرى غير مادية.
ب. المركبات الثقافية هو مجموعة من السمات الثقافية التي ترتبط فيما بينها إرتباطاً عضوياً وصفاً ذلك بالنسبة للموقف.
ج. الأنماط الثقافية قد ترتبط المركبات الثقافية لتكوين وحدات ثقافية أكبر تعرف بالأنماط أو الصيغ الثقافية الكلية للمجتمع.

الاتصال وعلاقته بالثقافـــــة :

((تمثل عملية الاتصال قلب الثقافة ومحوراً لها حيث "يمكن أن تعرف هذه العملية بأنها عملية تتم من خلالها تنقل المعلومات(السمات الثقافية) من مكان لآخر ومن فرد إلى آخر)) [1].

[1]. الثقافة العربية في عصر المعلومات، نبيل على، عالم المعرفة 2001، ص 126.
[2]. المجتمع والثقافة والشخصية - السيد عبد العاطى - دار المعرفة - مصر 1999، ص 37 ص 38.

فالاتصال في جوهره عبارة عن عملية من خلالها يتم نقل رسالة وما تتضمنه من أفكار ومعاني إلى فرد أو أفراد آخرين ومن خلاله يمكن أن تحدد وظيفة الاتصال في أهداف متعددة منها:-

1. الإعلام يتلخص في محاولة عملية تعديل وتغير ما يعرفه الفرد من قبل، فالاتصال يمكن أن يحدد عمليات التغير الثقافي في شكل أفكار وأنشطة وابتكارات والأحداث، فالتغير الذي يطرأ على سمة ثقافية واحدة يصاحب بالضرورة تغيراً في العناصر المرتبطة باستخدامه.

والثقافة رغم إنها محافظة إلا أنها تتغير من مكان إلى مكان ((وعادةً ما يكون تغيرات السلوك الاجتماعي وما يترتب عليها من تغير في الثقافة أصولاً تتمثل في بعض التعديلات الجوهرية في طرق الحياة الاجتماعية، فأي حدث يتغير من المواقف التي يحدث فيها السلوك الجمعي مؤدياً بذلك إلى عدم ملائمة أو عدم تشجيع الأفعال التقليدية وتطوير استجابات جديدة تؤدي إلى تجديدات ثقافية))[2].

ومن بين الأحداث ذات التأثير الهام والفعال في أحداث التغير الثقافي نجد التغير الذي يطرأ على عدد السكان زيادة أو نقصاً وتغير البيئة والهجرة وانتشار التكنولوجيا وخصوصاً فيما يخص الاتصالات وتطوير وسائل الإعلام التقليدية، أو ما يعرف بالاختراع الثقافي وعمليات الانتشار والاستعارة الثقافية من خلال عملية الاحتكاك، التي تعتبر العنصر المهم في عملية انتشار الثقافة عن طريق وسائل الاتصال المختلفة وتعتمد هذه العملية على الآتي:

1ـ شكل الثقافة ← الجزيئات الثقافية المادية أسرع في الانتشار من الإيديولوجيات والابتكار.

2ـ درجة القهر والضغط الثقافي ← الجزيئات الثقافية تتعرض من جانب الثقافة الأقوى على الأضعف.

[1] نفس المرجع السابق،ص 85

[2] نفس المرجع السابق ـ ص 88.

3ـ كثافة الاحتكاك الثقافي ←——— أي كلما كانت وسائل الاتصال سهلة ومتوفرة كانت معدلات الانتشار أكثر سرعة بالإضافة إلى عملية التقبل الاجتماعي وعملية التقليد والمحاكاة.

وبالتالي يحدث الخلل والاختلال الثقافي فالذي يمتلك التكنولوجيا المتقدمة في مجال الاتصال هو الذي يمتلك أداة الغزو الموجه ضد ثقافة وعادات وتقاليد وقيم الآخر، فالبث واستقبال المحطات الوافدة هو أول أشكال الغزو، لما تحمله هذه المحطات من برامج يكون تأثيرها سلباً وغير مقبول للأفراد والجماعات.

مفهـــوم الإعلام ونظرياتـــه:-

يشير مفهوم الإعلام إلى عمليتين تكملان بعضهما البعض، فهو من جهة يدل على عملية استقصاء واستخراج للمعلومات والحصول عليها ومن جهة أخرى يعني الكيفية التي بواسطتها تبث المعلومات ولا يمكن أن تتم أي من العمليتين إلا بواسطة وسائل الإعلام والتي تعرف بأنها مجموعة من الأدوات والأجهزة التي تستقبل أو تبث هذه المعلومات.

ومن المعروف أن المجتمعات الإنسانية في مراحل تطورها الباكرة كانت دائماً وأبداً تستخدم وسائل الاتصال بين أفرادها، وبينها وبين أفراد تنتمي إلى مجتمعات أخرى وكانت وسائل الاتصال التقليدية، وما زالت في كثير من بلدان العالم، تلعب دوراً هاماً في دعم العلاقات الاجتماعية والتواصل الاجتماعي، أما الإعلام في الوقت الراهن فهو يهدف إلى جمع المعلومات الإخبارية، وأنه أيضاً يهتم بتحليل المعلومات أي الجانب الدعائي والهدف الأخير هو الهدف الثقافي ويتمثل في نقل وتلقى المعرفة.

فوسائل الإعلام هي الوسيلة التي تساهم في نقل المعرفة وانتشار الثقافات والقيم والعقائد، فلقد أصبحت في المجتمعات المعاصرة أداة لتشكيل ذهنية الأفراد لكونها تؤثر في اتجاهاتهم السلوكية والحياتية سلباً وإيجاباً.

فلقد تميز هذا القرن باستعمال تكنولوجيا الاتصال المتطورة فشيوع وانتشار وسائل الاتصال قد حول العالم إلى قرية عالمية صغيرة كما يرى (ماكلوهان)[1].

فلقد أصبحت وسائل الإعلام تغرقنا بفيض من المعلومات وكأننا أجهزة استقبال على اتصال دائم مع العالم من طرف واحد ونتلقى ذلك الفيض من المعلومات التي تبثه أو تنشره تلك الوسائل.....

وإن هذه الوسائل تقوم على ثلاثة أمـــــور:-

1. وجود جهة مهيمنة على إرسال المعلومات.
2. سريان المعلومات يتخذ إتجاهاً عمودياً من فوق إلى أسفل.
3. إن الجمهور لا دور له سوى استقبال المعلومات.

فالإعلام وفقاً لذلك يعكس الواقع الاجتماعي والنفسي، ويكاد يكون المرآة التي نرى فيها صور مجتمع ما، أما في المجتمعات المعاصرة نجد أن وسائل الإعلام ارتكزت على أمور عدة، لغرض إثارة رغبات الناس وزيادة استهلاكهم للسلع، تلك هي كيفية تسريع وتوسيع الاستهلاك، وقد نجح النظام الرأسمالي في توظيف قنوات الاتصال والاستفادة في صناعة مستهلكين جدد من خلال توجيه رسائل موحدة ورمزية كل شيء فيها قابل للبيع تلك الرسائل التي وصفها "**ماركوز**" في تحليلاته لموضوع الثقافة الجماهيرية كونها تساهم في خلق إنسان ذي بعد واحد غائب ليس لديه الحس النقدي، فلقد أصبح الإعلام أبرز ظاهرة كونية وأكثر انتشاراً وتأثيراً على حياة الإنسان ــ المجتمع اليومية.

فوسائل الإعلام الجماهيرية كما يقول توفلر ((أصبحت مكبر صوت عملاق تستخدم قواها في الجبهات الإقليمية والعرقية والقبلية واللغوية لتوحيد الصور المتدفقة إلى تيار المجتمع العقلي))[2].

---

[1]. أحمد الزيادي - أثر وسائل الإعلام على الطفل - عمان: الأهلية للنشر - 1989ف - ص 24.

[2]. ألفن توفلر - حضارة الموجة الثالثة - ترجمة عصام الشيخ - الدار الجماهيرية - طرابلس - 1990ف - ص 171.

فلقد قادت هذه التطورات في مجال وسائل الإعلام إلى تبني فرضيات جديدة عن الطبيعة والتقدم والتطوير والزمان والمكان والنسبية والمادة والفكر ومفاهيم الإنسان وقيمتها الاجتماعية والثقافية.

لذلك تعتبر الدراسات المعاصرة للإعلام عملية اجتماعية ذات طابع ديناميكي نظراً لاحتوائها على مجموعة من العناصر كالمرسل والمستقبل والوسيلة والأداة والتأثير وهي عناصر تقوم بدور هام في المجال الاجتماعي والثقافي نظراً لتأثيره على بنية المجتمع وعناصره المكونة، لذا فالإعلام لم يعد موضوعاً هامشياً، إنما تحول إلى موضوع مركزي في قياس مستوى النضج والتقدم في أي مجتمع له دور فعال إيجابي لو تم توجيهه بطريقة أفضل في صياغة أنماط التفكير والسلوك والتفاعل.

إن لوسائل الإعلام تأثيراً غير مباشر على سلوك المتلقين بقدرتهما على تكوين الأنماط الثقافية التي قد ترشد الفرد إلى اتخاذ سلوك ما نحو مسألة ما أو بالأخص فيما يتعلق بالماديات والاستهلاك، ((فوسائل الإعلام هي أدوات فعالة وهي تصنع أيضاً سلطة هائلة لنفعل بها ما نريد لمجتمعنا ويرى شرق أن بإمكانها أن تساعدنا على تدمير المجتمع أو تحسينه)) [1].

نظريات الإعـــــــــلام:-

((تمت بلورة نظريات عسكرية وسياسية للأعلام لأول مرة عام **1956**ف عندما بادر ثلاثة أساتذة جامعيون في الولايات المتحدة إلى صياغة عدد من النظريات تستند مضامينها إلى طبيعة البنيات السياسية التي سادت خلال حقبات متتابعة من تاريخ الإنسانية، مارست للأعلام نشاطاً ينسجم في جوهره مع تلك البنيات)) [2].

وقد صاغ هؤلاء الأساتذة نظرياتهم على النحو التالي:-

1.نظرية السلطة: النظرية الاستبدادية.

ـ تجسد نظاماً إعلامياً ساد في بريطانيا خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين وكان له انتشار كبير ولا يزال هذا النظام موجود في العديد من مناطق العالم.

[1] محمد عبد الحميد ـ نظريات الإعلام ـ عالم الكتب ـ مصر ـ 1997ف ـ ص 139.
[2] فريال مهنا ـ علوم الاتصال في المجتمعات الرقمية ـ سوريا ـ دار الفكر ـ ط1 ـ 2002ف ـ ص 72.

ـــ تتبع هذه النظرية من فلسفة الحكم المطلق "الحق الإلهي" للملك أو الحكومة هدفها دعم الحكومة القائمة، أو الإسهام في تنفيذ أنشطة الدولة ويستطيع ممارسة الإعلام كل من يحصل على رخصة ملكية من قبل السلطة.

ـــ تنطلق مفهوم الإعلام من هذه النظرية من أن وسائل الإعلام هي عبارة عن أدوات لتحقيق سياسة الحكومة.

2.نظرية الحرية:

ـــ تبنتها إنجلترا بعد عام 1688ف والولايات المتحدة.
ـــ مصدرها من كتابات ملتون ولوك وميل والفلسفة العامة لمذهب العقلانية.
ـــ أغراضها الإعلام والترفيه والحصول على الربح.
ـــ له الحق في استخدام أي وسيلة لإعلام أي فرد لديه الإمكانيات المالية لتأسيس منشأة إعلامية.
ـــ قسم الإشراف عليها من خلال عملية التصحيح الذاتي للحقيقة في سوق حرة للأفكار بواسطة المحاكم.
تحرم النظرية التشهير والإحلال بالقيم الأخلاقية.

3.نظرية المسؤولية الاجتماعية:

ـــ صاغ هذه النظرية أساتذة الجامعة هم شرام وبيترسون تؤكد على أن مهنة الإعلام تزويد المتلقي بالمعلومات والترفيه عنه.
ـــ حق الاستخدام لأي شخص لديه ما يقول.
ـــ تمارس الرقابة على الإعلام من خلال نشاط المجتمع المدني.
ـــ الملكية خاصة إلا إذا كانت الحكومة مرغمة على التدخل لضمان سير عمل الخدمة العامة.

4.النظرية الشيوعية أو النظرية الشمولية:[1]

ـ جرى تصنيعها في الإتحاد السوفيتي في بدايات القرن العشرين.
ـ تتبع من الإيديولوجية الماركسية ممتزجة بفلسفة هيجل والفكر الروسي.
ـ مهمة الإعلام في النظرية: الإسهام في نجاحات النظام الاشتراكي واستمراريته.
ـ تمارس الرقابة على الإعلام عبر العمل السياسي والاقتصادي للحكومة.
ـ تحظر توجه أي نقد لأهداف الحزب الإستراتيجية.
ـ الملكية عامة أي الإعلام مملوك للدولة.

تعليق عام حول هذه النظريات:

أولاً: نلاحظ غياب الشروط الضرورية للإعلام المتطور، مثال غياب البنية التحتية لوسائل الإعلام في مضمون النظرية.
ثانياً: التبعية الإعلامية وملء الفراغ التكنولوجي والبرامجي مما يؤدي إلى تشويه الطابع الثقافي من حيث الإشراف والاستخدام.
ثالثاً: غياب عام لمفهوم الحرية والديمقراطية، فالتعددية لا تعني ديمقراطية، والتنوع لا يشير إلى الحرية.
رابعاً: سياسة الاحتكار القائمة على سياسة الاستثمار في المشروع الإعلامي.
خامساً: غياب التنمية وغيبوبة الإعلام والأهداف التنبؤية.

وبالتالي فإن كل تلك النظريات لا تخدم الفرد في المجتمع لكونها قائمة إما على مشروع سياسي أو على مشروع دعائي ترفيهي، لذا كانت المناداة بنظام إعلامي عالمي جديد هدفه إزالة الخلل القائم، بحيث يتم تداول الأخبار في الاتجاهين أي إيجاد التوازن في تدفق المعلومات بينها وبين الدول المصنعة.

---

1. رفيق شكري - دراسة في الرأي العام والإعلام - جروس - لبنان - 1991ف - ص 247.

البث بالأقمار الصناعية:

يقصد بالبث عبر الأقمار هو الاستلام المباشر من القمر الصناعي إلى جهاز الاستقبال بالمنزل ((لقد بدأ البث المباشر في بادئ الأمر لخدمة أهداف تربوية وتعليمية، لكن بفضل تطور تكنولوجيا الاتصال وغريزة الإنسان للتعامل مع الجديد والمثير والمدهش جعل الشركات تتجه نحو تحقيق أرباح جديدة باستخدام الأقمار الصناعية ونقل البث العادي كي ترضي أذواق المشاهدين لذا نجد أن هناك قنوات خاصة بالإعلام والمعلومات والرياضة والموسيقى))[1].

الذي يؤسف له أن نرى التكنولوجيا بدلاً من أن تسخّر لخدمة الإنسان وتحقيق أهدافه الخيرة تستخدم لتدميره جسماً وعقلاً وثقافة، رغم ما نراه من استخدام للأقمار الصناعية كوسائل مساعدة في نمو مجتمع الاتصال، الذي يغطي عالمنا سواء في مجال وأشكال التبادل الفوري للاتصال عن طريق التلفاز والصحافة وحجم المعلومات وادخار الوقت وإننا نهدف في هذا البحث إلى طرح السلبيات والأخطار التي لا يقصد بها تخويف المجتمع من هذه القنوات بقدر ما نهدف إلى بناء قاعدة اجتماعية قائمة على أسس ثابتة وعلى مبادئ واضحة ومعايير محددة من خلال التعامل الذكي لتحصين المجتمع في مواجهة أخطار التدفق الإعلامي.

الظواهر الإعلامية المصاحبة لبث القنوات الوافدة:

1. الأمية الثقافية واضمحلال فعل الكلمة.
2. غياب التفاعل وسيادة لهجة الانفعال.
3. الإلهاء وصرف الانتباه.
4. طغيان المعلومات وتدفقها.
5. خدعة التكنولوجيا.
6. الحياة الإلكترونية وهجر الكتب وهجر أنظمة التعليم والبحث.
7. الهيمنة الإعلامية.
8. "انتشار ممارسات الإقناع الإستخدامي التضليلي وغياب الأخلاقيات والفكر النقدي.

---

1. أحمد عبد الملك - قضايا إعلامية - عمان: مجدلاوي - 1999 فـ ص 103.

9. غياب الترابط والمرجعيات والمعايير في مضمون القنوات الوافدة"[1].

الآثار الاجتماعية والثقافية لاستقبال المحطات الوافدة:-

1. الابتذال والنمطية في التسلية بدرجة تجعلها تحد من الخيال بدلاً من استثارته.
2. التسطيح والتخويف والأقفار للحياة الثقافية بدلاً من الإثراء الثقافي.
3. تشجيع التقليد والسلبية والإتكالية لدي الجمهور بدل من التجديد والمبادرة.
4. اعتماد المحطات على الإباحية مما يعرض الكيان الاجتماعي للخدش بصورة عامة ناهيك عن رسائل التبشير وقيادة حركات العصيان ودوافع الإثارة والعنف.
5. التدفق الآحادي للمعلومات مما يشل حركة الإبداع والتفكير وجعله منا مستهلكين لا منتجين مما يحدث عدم التوازن لما يرتكز على معلومات مزيفة وأخبار ملتوية وثقافات مستوردة.
6. الهوة وعدم العدالة في تدفق المعلومات وعرضها لموضوعات يمكن أن تجعلنا نعيش في مرحلة ضياع وشرود فكري ثقافي.
7. الغربنة الثقافية والاجتماعية فالقنوات مزودة بتقنية عالية منظومة قائمة على سياسة الإغراء مما يدفعهم إلى التقليد والانبهار التام بحضارة الغرب أو ما يعرف بالغزو الثقافي.
8. الغزو الثقافي من خلال جعل أسواق العالم الثالث سوقاً مفتوحة أمام منتجات الدول الصناعية وتقنياتها بحيث تعمل هذه القنوات على سياسة الدعاية والترويج.
9. القرصنة الفضائية وهي تكمن في الأقمار الصناعية للبث والإرسال إلى هوائيات عريضة بعيدة عن منطقة التغطية لتسحب إلى محطات خاصة مما سبب مشاكل اختلال في لقيم السائدة.
10. التبعية الإعلامية وعملية استيراد التكنولوجيا المتقدمة والمواد الإعلامية.

[2] الصادق رابح ـ الإعلام والتكنولوجيا ـ دار الكتاب الجامعي: العين ـ 2004ف ـ ص 34.

11. سياسة احتكار وسائل الإعلام وطغيان مفهوم السوق على النظم الاجتماعية مما ينتج عن ذلك غياب عملية قياس لصلاحية الثقافية والموضوعية وصلاحية المعلومات.

12. ((الملهاة المعلوماتية: إن كتل الأخبار التي تصلنا عبر رسائل الإعلام وبالتحديد القنوات الوافدة مشكوك في صحة معظمها ومرتاب فيها، أما محتوى المواد التي تحملها إلينا الميديا والإنترنت فيصنف غالبيتها في خانة المسابقات المعلوماتية أو الثقافية التي لها الطابع الترفيهي والتجاري، حتى الأخبار الفورية التي تجاري أحداثاً في العالم دقيقة بدقيقة كانت على حساب الصحافة المدروسة))[1].

حيث سيطر الطابع التجاري على المعلومة، التي مضمونها يقتصر على تحريض دائم وإغراء الناس للاستسلام لسلوكيات السوق وتكوين رأي عام تتلاعب به الدعاية والإعلانات وهدم كل فكر ناقد ومسئول.

13. عولمة الإعلام والثقافة : هذا الخطر الذي ينتشر من خلال وسائل الإعلام باعتبارها أداة أساسية في التواصل الثقافي الاجتماعي، فالعولمة الثقافية تتسع على حساب الثقافة المكتوبة وتظهر اليوم ثقافة ما بعد الكتاب ثقافة الصورة والتي يجري تسويقها من قبل الغرب.

وبعد عرضنا لبعض الآثار السلبية للقنوات الوافدة لابد لنا من أن نطرح مجموعة من المقترحات للتصدي لهذه الظاهرة الإعلامية لما تحمله من غزو متعدد الأنواع والأنماط:

1- النقد العلمي ومواجهة الذات.
2- الدعوة لطرح مفهوم الأمن الثقافي لمواجهة خطر التبعية الإعلامية.
3- تفعيل دور الأسرة والمدرسة ووسائط التربية الأخرى.
4- التخطيط العلمي الإعلامي لمجابهة الاختراق والغزو الثقافي.
5- التوعية بالأخطار المحيطة والكشف عن الأهداف التدميرية للقنوات الوافدة من خلال المشاركة في ندوات ودراسات علمية جادة.

[1] **ثقافة** مجتمع الشبكية – أحمد محمد صالح – دار الفكر – دمشق – 2004ف – ط1 – ص175 ص176.

خاتمـــــة

مما لاشك فيه أن تدفق معلومات مفرطة عبر القنوات الفضائية الوافدة قد يجعل منا مستهلكين قصراً، فليس باستطاعة أحد إستعابها بهذا الشكل لأنها تفوق قدرتنا وطاقتنا إلى استهلاك إجباري مما يؤدي إلى فشل في اكتشاف ما هو نافع[1].

ذلك لأن التربية الفعلية الخصبة والتفاعلات الاجتماعية الهائلة التي قد تشجعها التقنيات الإعلامية الجديدة تستطيع أن تنتج فكراً غنياً يمكن له أن يسهم أسهاماً حاسماً في أعادة تشكيل العلاقة بين الثقافات بمفهوم أوسع وبين الوجود الإنساني بكل مستوياته نحو التفاعل المستمر والتكيف والاندماج.

ولا يتم ذلك إلا من خلال زرع بذره الإعلام البديل في المشروعات الإعلامية الصغيرة في المدارس والمشافى والمصانع والقرى والأرياف والجامعات لأنه إعلام قريب إلي الناس يمكن أن يندمج معهم.

فليس بالتكنولوجيا وحدها تقدم الإنسان وإن الأمر معقود أولاً وأخيراً على إرادة التقدم والقدرة على تحديد الأهداف في ضوء حاجات المجتمع الحقيقية وليس المظهرية. لأن الإعلام هو اليوم مفتاح الثقافة.

[1] جاك الول، خدعة التكنولوجيا – ترجمة: فاطمة نصر – مصر – سطور – 2002 – ص 396.